إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية لزوجات الآباء الكهنة فبراير ٢٠١٧ م

وهو ليس يتبعنا

يروي لنا الكتاب المقدس كيف قال يوحنا الحبيب للسيد المسيح: "يا معلم رأينا واحداً يخرج شياطين باسمك وهو ليس يتبعنا فمنعناه لأنه ليس يتبعنا". هنا أجاب عليه السيد المسيح قائلاً: "لا تمنعوه لأنه ليس أحد يصنع قوة باسمي ويستطيع أن يقول عليّ شراً لأنه من ليس علينا فهو معنا" (مر٩: ٣٨-٤٠). لقد سقط التلاميذ في فخ إبليس متصورين أنهم وحدهم الذين اقتنوا مواهب الروح القدس وأن تبعيتهم للسيد المسيح وحصولهم على لقب "تلاميذ" يعطيهم الحق أن يمنعوا أي شخص "ليس يتبعهم" أي "ليس من جماعتهم" أن يتمتع بقوة اسم يسوع المسيح.

والحقيقة أن السقوط في هذا الفخ لم يقتصر فقط على التلاميذ بل هو أيضاً فخ تتعرض الكثيرات من زوجات الكهنة للسقوط فيه.

فمصطلح "شلة زوجة الكاهن" هو مصطلح مألوف في الأوساط الكنسية وإن كان غير مألوف بالنسبة لزوجة الكاهن نفسها لأنه غالباً ما يكون إحدى موضوعات النميمة عليها من وراء ظهرها.

في أحيان كثيرة تحيط زوجة الكاهن نفسها بمجموعة معينة من الناس الذين يتبعونها أغلب الأحيان، ويشاركونها أغلب أنشطتها، ويظهرون معها في أغلب المناسبات. وفي الغالب تكون زوجة الكاهن قد انجذبت إليهم لأنهم يمثلون عوناً كبيراً لها، أو لأنهم يشبعون رغبتها في الحصول على المديح والإطراء، أو رغبتها في السيطرة والتحكم في الآخرين. أما هم فقد ينجذبون إليها ويحوطونها بسبب نقائص في شخصياتهم تجعلهم يميلون إلى التبعية، أو التحزب، أو الانتهازية، أو فضولية الحصول على أخبار الكنيسة، أو الرغبة في التودد للأب الكاهن من خلال زوجته.

قد تتساءل زوجة الكاهن متعجبة: وما العيب في أن يكون لي شلة من الصديقات المفضلات؟ ما الخطأ في الشعور بالارتياح للبعض دون الآخر؟ ما الضرر من الانجذاب لأشخاص معينين؟

الإجابة ببساطة هي أن الضرر ليس في تكوين زوجة الكاهن للصداقات ولكن الضرر كل الضرر في الانغلاق على البعض دون الآخر، والتحزب، والمحسوبية. قد يصل الأمر في بعض الكنائس التي يخدم فيها أكثر من كاهن، وبالتالي أكثر من زوجة كاهن، أن ينقسم الشعب إلى أحزاب وجماعات حيث يقول البعض "أنا لبولس" ويقول البعض الآخر "أنا لأبولس" أو "أنا لصفا". وفي أحيان أخرى قد تتسبب زوجة الكاهن "وشلتها" في عثرة كبيرة للشعب إذ يحصل أتباعها وأعضاء شلتها على امتيازات خاصة لا يحصل عليها العامة من الشعب، أو قد تتسبب تلك الشلة في توجيه الكثير من القرارات داخل الكنيسة والخدمة سواء بشكل مباشر أو غير مباشر. هذا الأمر قبيح جداً ليس فقط في عيني الرب ولكن أيضاً في أعين الرعية.

ولو راجعنا السياق الذي دار فيه هذا الحوار بين يوحنا الحبيب والسيد المسيح لوجدنا أنه أتى مباشرة بعد محاجاة التلاميذ بعضهم مع بعض في من هو الأعظم بينهم. من هنا يمكننا أن نستنتج بسهولة العلاقة الوطيدة بين التحزب وانتفاخ الذات وتعظمها. توجد أيضاً علاقة وطيدة بين التحزب وعدم النضج الروحي والنفسي. لقد كانت تلك مشكلة أهل كورنثوس الذين وبخهم بولس الرسول قائلاً: "وأنا أيها الإخوة لم أستطع أن أكلمكم كروحيين بل كجسديين كأطفال في المسيح. سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون بل الآن أيضاً لا تستطيعون لأنكم بعد جسديون. فإنه إذ فيكم حسد وخصام وانشقاق ألستم جسديين وتسلكون بحسب البشر. لأنه متى قال واحد أنا لبولس وآخر أنا لأبلوس أفلستم جسديين" (١كو٣: ١-٤)

ما هو إذاً علاج هذا الداء الخبيث الذي إن دخل وسط جماعة لا يجعلها موضع راحة الروح القدس؟ يكمن العلاج في الواقع في كلمات السيد المسيح العميقة المركزة: "من ليس علينا فهو معنا". نستنتج من تلك العبارات أننا لا نستطيع استقصاء سوى من هو علينا. ولكن لنسأل أنفسنا بكل أمانة: هل بعد أن أوصانا السيد المسيح أن نحب أعداءنا يبقى بعد من يمكننا أن نطلق عليه أنه علينا؟ وهل يوجد أحد "علينا" بخلاف عدو الخير؟ الجميع إذاً معنا بلا استثناء، وملكوت الله هو ملكوت المحبة الكاملة الناضجة التي لا تعرف تحزباً!!